Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللغة والأشياء

1 ـ اللغة نظام:

إن اللغة لا تقول الأشياء، ولكنها تقول رؤاها للأشياء. وهذا يعني أنها لا تعكسها، ولا تنعكس فيها. فاللغة ليست مرآة، وكذلك حال الأشياء. وإذا كان القول إن اللغة تعيش وجودها في جدل مع الواقع، تجاذبه ويجاذبها، فإن فهم الواقع والتعبير عنه، أو تزويره والانحراف به، أو ولوجه والاستحواذ عليه، لدليل على سيطرة اللغة عليه، بل على تحويله وإعادة إبداعه تركيباً، وصياغة، وإنشاء. وإن الناظر فيها، تدبّراً وتأمّلاً، ليحسب ـ وإنْ ضلّ، إذ لضلاله فيها معنى ـ أن الواقع، بما فيه من أشياء، إنما هو خلق من مخلوقاتها، أو إنه ليحسب أن الواقع هو كلمتها الأبدية التي لا تنقضي إبداعاً لمعناها، ولا تنتهي توليداً لدلالاتها. فهي لها مع الحياة زمن لا ينتهي دوامه، وهي لها مع نفسها تغير لا ينقضي استمراره.

ونستطيع، نتيجة لهذا، أن نقول: ليس في اللغة سوى اللغة. ولقد يبدو هذا القول بدهية، أو تحصيل حاصل، إلاّ أنه يحتاج إلى نظر وتأمّل يجعل من تأكيد البدهيات، أو نقضها أمراً ضرورياً، ومطلباً علمياً يحتاجه الدارس والباحث على حدّ سواء. إذ ليس كالبدهيات شيء يحتاج إلى تأكيد. ورحم الله الجرجاني إذ يقول: «واعلم أنك لا